بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاقُ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، بَيَّنَ طَرِيقَهُ لِلسَّالِكِينَ، وَأَنْزَلَ دِينًا هُوَ رَحمَةٌ لِلْعَالَمِينَ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، دَعَا إِلَى التَّحَلِّي بِالفَضَائِلِ وَنَبْذِ الرَّذَائِلِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ذُو الخُلُقِ العَظِيمِ، بَذَلَ حَيَاتَهُ دَاعِيًا إِلَى الدِّينِ القَوِيمِ، وَحَاثًّا عَلَى سُلُوكِ الطَّرِيقِ المُستَقِيمِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي – عِبَادَ اللهِ – بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّ التَّقْوَى سَبَبُ سَعَادَةِ الدُّنيَا وَالأُخْرَى، فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسلِمُونَ.

عِبَادَ اللهِ:

طَلَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ مَفَاتِيحَ البَيْتِ وَكَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بنِ أَبِي طَلْحَةَ وَكَانَ وَقْتَهَا عَلَى الشِّرْكِ، فَأَرْسَلَ المُصْطَفَى ﷺ عَلِيًّا لِيَأْتِيَ بِهَا، غَيْرَ أَنَّ عُثْمَانَ رَفَضَ تَسْلِيمَهَا، وَقَالَ: ((مَفَاتِيحُ وَرِثْتُهَا مِنْ آبَائِي لَنْ أُسَلِّمَهَا أَحَدًا))، فَأَخَذَهَا عَلِيٌّ عَنْوَةً مِنْ عُثْمَانَ وَسَلَّمَهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَفَتَحَ بِهَا المُصْطَفَى البَيْتَ، غَيْرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ بِسَبَبِ هَذِهِ الحَادِثَةِ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[1]، فَأَمَرَ الحَبِيبُ المُصْطَفَى ﷺ عَلِيًّا أَنْ يَرُدَّ المَفَاتِيحَ إِلَى عُثْمَانَ، فَتَعَجَّبَ عُثْمَانُ مِنْ صَنِيعِ عَلِيٍّ، أَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَرَدَّهَا بِلُطْفٍ، فَأَخْبَرَهُ عَلِيٌّ أَنَّ اللهَ قَدْ أَنْزَلَ فِي حَقِّهِ قُرآنًا يُتْلَى، فَمَا كَانَ مِنْ عُثْمَانَ إِلاَّ أَنْ أَعْلَنَ إِسْلامَهُ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

(١) سورة النساء/٥٨ .

الإِسْلامُ دِينُ أَخْلاقٍ وَحُسْنِ مُعَامَلَةٍ، هَذَا الَّذِي يُعَلِّمُنَا إِيَّاهُ القُرآنُ العَظِيمُ، وَتُبَيِّنُهُ لَنَا السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ بِكُلِّ وُضُوحٍ وَجَلاءٍ، يَقُولُ المُصْطَفَى ﷺ مُبَيِّنًا حَقِيقَةَ دَعْوَتِهِ وَمَنْهَجَ رِسَالَتِهِ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ))، وَيَقُولُ: ((إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا))، وَيَقُولُ: ((أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَسَنُهُمْ خُلُقًا))، وَيَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي الحَدِيثِ الَّذِي تَرْوِيهِ أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ: ((ذَهَبَ حُسْنُ الخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ)) أَيْ لا خَيْرَ فِي الدُّنيَا وَلا الآخِرَةِ إِلاَّ مَعَ حُسْنِ الخُلُقِ. وَمِمَّا يَدُلُّنَا أَيْضًا عَلَى عَظِيمِ مَكَانَةِ الأَخْلاقِ فِي هَذَا الدِّينِ وَصْفُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي سُورَةِ القَلَمِ، إِذِ اخْتَارَ لَهُ وَصْفًا مُحَدَّدًا دَقِيقًا فَقَالَ لَهُ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، فَلَمْ يَصِفْهُ بِالحِكْمَةِ أَوِ الهِمَّةِ أَوْ حُسْنِ القِيَادَةِ أَوْ ذَكَاءِ الإِدَارَةِ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا اتَّصَفَ بِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ –، بَلْ وَصَفَهُ بِوَصْفٍ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَصَفَهُ بِعَظِيمِ الخُلُقِ.

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ النَّاظِرَ فِي تَعَالِيمِ هَذَا الدِّينِ القَوِيمِ، يَجِدُ أَنَّهَا جُزْئِيَّاتٌ مُكَوِّنَةٌ لِمَنْظُومَةِ الأَخْلاقِ العَظِيمَةِ، ذَلِكَ لأَنَّ الأَخْلاقَ هِيَ مَجْمُوعَةُ المَبَادِئِ وَالقَوَاعِدِ المُنَظِّمَةِ لِلسُّلُوكِ الإِنْسَانِيِّ الَّتِي يُحَدِّدُهَا الوَحْيُ لِتَنْظِيمِ حَيَاةِ الإِنْسَانِ وَتَحْدِيدِ عَلاقَتِهِ بِغَيْرِهِ عَلَى نَحْوٍ يُحَقِّقُ الغَايَةَ مِنْ وُجُودِهِ فِي هَذَا العَالَمِ، فَهِيَ تَشْمَلُ كُلَّ مَعْرُوفٍ مِنَ القَولِ وَصَالِحٍ مِنَ العَمَلِ وَرَاقٍ مِنَ الآدَابِ، فِمِمَّا عُلِمَ فِي هَذَا الدِّينِ مَثَلاً أَنَّهُ ((لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ))، وَمِمَّا جَاءَ فِيهِ أَنَّهُ ((لا يُؤْمِنُ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ))، وَجَاءَ فِيهِ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ وَلا يُؤْذِي جَارَهُ أَبَدًا))، وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِمَّا يَعْلَمُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ، بَلْ عِنْدَ التَّحْقِيقِ يَجِدُ النَّاظِرُ أَنَّ العِبَادَاتِ المَحْضَةَ الَّتِي لا تَتَعَلَّقُ بِجَانِبِ المُعَامَلاتِ وَالعَلاقَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ هِيَ أَيضًا لَهَا صِلَةٌ وَثِيقَةٌ بِالأَخْلاقِ، إِذْ

(١) سورة القلم/٤.

إِنَّهَا تُؤَدِّي إِلَى التَّخَلُّقِ بِالمَكَارِمِ وَتَقْوِيمِ السُّــلُوكِ وَتَهْذِيبِ الطِّبَاعِ، فَفِي الصَّلاةِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾(١)، فَهَذِهِ غَايَةُ الصَّلاةِ، أَنْ تَنْهَى الفَرْدَ عَنِ الفَحْــشَاءِ وَالمُنْكَرِ، بِمَعْــنَى أَنْ يَكُونَ ذَا خُلُقٍ حَسَنٍ رَفِيعٍ، وَكَذَلِكَ الصَّوْمُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى عَنْ مَقْصَدِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢)، أَيْ لأَجْــلِ أَنْ تَتَّقُوا كُلَّ مَا يُسْخِطُ اللهَ، فَالصَّوْمُ يَحْمِلُ النَّفْسَ عَلَى تَرْكِ كُلِّ مُنْكَرٍ مِنَ القَولِ، وَقَبِيحٍ مِنَ العَمَلِ، فَمَنْ لَمْ يَسْــتَفِدْ مِنْ صِيَامِهِ تِلْكَ النَّتِيجَةَ فَلا فَائِدَةَ مِنْ صَوْمِهِ، يَقُولُ ﷺ : ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَولُهُ ﷺ : ((لا إِيمَانَ لِمَنْ لا صَلاةَ لَهُ، وَلا صَلاةَ لِمَنْ لا وُضُوءَ لَهُ، وَلا صَوْمَ إِلاَّ بِالكَفِّ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ))، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ فِي الحَجِّ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾(٣)، وَهَكَذَا – عِبَادَ اللهِ – لَوْ تَتَبَّعْــنَا كُلَّ الأَوَامِرِ الإِلَهِيَّةِ وَالتَّوْجِيهَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ لَرَأَيْــنَا أَنَّ نَتِيجَتَهَا جَمِيعًا حُسْنُ الخُلُقِ. وَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّ العِبَادَاتِ مَا هِيَ إِلاَّ أَفْعَالٌ فَحَسْبُ لا أَثَرَ لَهَا فِي الوَاقِعِ وَفِي الحَيَاةِ هُوَ تَصَوُّرٌ مُجَانِبٌ لِلصَّوَابِ، لِذَا تَجِدُ مِنْ أُولَئِكَ النَّاسِ مَنْ يُسَارِعُ إِلَى صَلاةِ الجَمَاعَةِ حَيْثُ تُقَامُ، لَكِنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى بَيْــتِهِ فَزِعَ مِنْهُ زَوْجُهُ أَبْنَاؤُهُ، فَهُوَ سَيِّئُ العِشْرَةِ، سَيِّئُ الرِّعَايَةِ وَالتَّرْبِيَةِ. وَلَرُبَّمَا تَجِدُ أَيْضًا رَجُلاً جَوَادًا فِي الخَيْرِ يُنْفِقُ وَيَتَصَدَّقُ، غَيْرَ أَنَّهُ يُؤْذِي جِيرَانَهُ بِلِسَانِهِ وَفِعَالِهِ، هَؤُلاءِ – عِبَادَ اللهِ – لَمْ يَفْهَمُوا حَقِيقَةَ العِبَادَةِ، وَلَمْ يَعْرِفُوا مَقَاصِدَهَا، وَلَمْ يُؤَدُّوهَا حَقَّ أَدَائِهَا، لِذَا لا تَجِدُ لَهَا أَثَرًا فِي حَيَاتِهِمْ، فَكَيْفَ يَجِدُونَ لَهَا أَثَرًا بَعْدَ مَمَاتِهِمْ؟

---

(١) سورة العنكبوت/٤٥.

(٢) سورة البقرة/١٨٣.

(٣) سورة الحج/١٩٧.

عِبَادَ الله:

إِنَّ الإِسْلامَ يَطْلُبُ مِنَّا أَنْ نَكُونَ عَلَى الأَخْلاقِ الرَّاقِيَةِ حَتَّى عِنْدَ التَّعَامُلِ مَعَ الحَيَوَانَاتِ العَجْمَاوَاتِ؛ فَضْلاً عَنْ بَنِي البَشَرِ، فَفِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))، وَتَعْلَمُونَ خَبَرَ المَرأَةِ الَّتِي دَخَلَتِ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، وَآخَرُ وَجَدَ كَلْبًا شَدِيدَ العَطَشِ فَسَقَاهُ مَاءً فَأَنْقَذَهُ مِنَ المَوْتِ؛ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ المُجتَمَعَ الَّذِي بُنِيَ عَلَى الأَخْلاقِ الفَاضِلَةِ هُوَ – لا شَكَّ – مُجتَمَعٌ رَاقٍ، تَسْكُنُ فِيهِ الطُّمَأْنِينَةُ وَالسَّكِينَةُ، وَتُوجَدُ فِيهِ السَّعَادَةُ وَالمَحَبَّةُ وَالتَّكَافُلُ وَالتَّعَاوُنُ، وَهَذَا الَّذِي فَهِمَهُ الرَّعِيلُ الأَوَّلُ وَقَدْ فَقِهُوا تَوْجِيهَاتِ هَذَا الدِّينِ وَإِرْشَادَاتِهِ، فَكَوَّنُوا بِذَلِكَ أُمَّةَ أَخْلاقٍ، فَكَانُوا مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ وَضَعْفِ قُوَّتِهِمْ فِي مَنَعَةٍ وَقُوَّةٍ وَسَعَادَةٍ وَرَاحَةٍ، لأَنَّهُمْ عَاشُوا فِي مَمْلَكَةِ الأَخْلاقِ. يُذْكَرُ أَنَّ أَيَّامَ جُوعٍ وَفَقْرٍ مَرَّتْ بِمُجتَمَعِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وَهُوَ مُجتَمَعُ الأَخْيَارِ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَطُرِقَ بَابُ أَحَدِهِمْ مَرَّةً؛ فَفَتَحَ البَابَ؛ فَإِذَا بِجَارٍ لَهُ قَدْ جَاءَ إِلَيْهِ بِلَحْمٍ هَدِيَّةً، وَأَيُّ لَحْمٍ كَانَ ذَاكَ وَالزَّمَنُ زَمَنُ فَقْرٍ وَجُوعٍ؟ إِنَّمَا كَانَ رَأْسَ شَاةٍ فَحَسْبُ، فَانْفَجَرَتْ أَسَارِيرُ الرَّجُلِ عِنْدَمَا تَسَلَّمَ هَدِيَّةَ جَارِهِ، وَرُبَّمَا مَنَّى نَفْسَهُ أَنَّهُ سَيُطْعِمُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَبنَاءَهُ لَحْمًا، غَيْرَ أَنَّهُ تَذَكَّرَ جَارًا لَهُ آخَرَ، ذَكَرَ فَقْرَهُ وَحَاجَتَهُ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ جَارِي فُلانًا أَحْوَجُ مِنِّي إِلَى هَذَا؛ فَأَخْفَاهُ عَنْ أَبْنَائِهِ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى جَارِهِ، وَجَارُهُ ذَاكَ مَا كَانَ أَقَلَّ شَأْنًا مِنْهُ، فَبَعَثَ بِالرَّأْسِ إِلَى جَارٍ لَهُ ثَالِثٍ، يُذْكَرُ – أَيُّهَا الأَحِبَّةُ – أَنَّ ذَلِكَ الرَّأْسَ مَرَّ عَلَى عَشَرَةِ بُيُوتٍ عَادَ فِي آخِرِ المَطَافِ إِلَى أَوَّلِهَا، هَكَذَا كَانَ مُجْتَمَعُ الأَخْلاقِ وَالفَضَائِلِ. وَفِي عَهْدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – غَنِمَ المُسلِمُونَ أَمْوَالاً عَظِيمَةً، تَذْهَبُ لِبَرِيقِهَا ذِمَمُ

النُّفُوسِ الضَّعِيفَةِ، وَلَكِنْ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ بَعِيدًا عَنِ المُسلِمِينَ؛ فَحَمَلَتْ ذَلِكَ المَالَ قَوَافِلُ طَوِيلَةٌ إِلَى المَدِينَةِ حَيْثُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –، فَوَصَلَ المَالُ إِلَى المَدِينَةِ وَمَا نَقَصَ مِنْهُ شَيْءٌ، فَأُعْجِبَ عُمَرُ بِأَمَانَتِهِمْ وَعِفَّتِهِمْ. تِلْكَ بَعْضُ صُوَرِ الأَخْلاقِ وَآثَارِهَا عِنْدَمَا يُعَايِشُهَا النَّاسُ وَاقِعًا فِي حَيَاتِهِمْ، وَمَا أَعْظَمَ مَنْظُومَةَ الأَخْلاقِ فِي الإِسْلامِ، تَجِدُهَا مُكْتَمِلَةَ البُنْيَانِ، رَاسِخَةَ الأَرْكَانِ، فَهِيَ تَنْبُعُ فِي الأَسَاسِ مِنْ مَنْهَجِ اللهِ الَّذِي ارتَضَاهُ لِلنَّاسِ هَادِيًا وَدَلِيلاً، وَالمُسلِمُ وَهُوَ يَأْتِي بِخُلُقٍ حَسَنٍ أَوْ يَدَعُ خُلُقًا قَبِيحًا إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِيَفُوزَ بِرِضَا اللهِ؛ فَيَكُونُ أَكْثَرَ حِرْصًا عَلَى الخَيْرِ وَبُعْدًا عَنِ السُّوءِ وَالشَّرِّ، فَعِنْدَمَا يَعِيشُ المُجتَمَعُ بِهَذِهِ الأَخْلاقِ لَنْ يَظلِمَ جَارٌ جَارَهُ، وَلَنْ يَعُقَّ عِنْدَهَا ابنٌ أَبَاهُ، وَلَنْ تَجِدَ مَنْ يُضَيِّعُ الأَمَانَةَ أَوْ يَتَّصِفُ بِالخِيَانَةِ، سَتَجِدُ عِنْدَهَا أَنَّ الفَرْدَ يَعْمَلُ لِصَالِحِ الجَمِيعِ، وَالجَمِيعُ يَسْهَرُونَ لِصَالِحِ الفَرْدِ، فَيَكُونُ المُجتَمَعُ كَالجَسَدِ الوَاحِدِ وَالبُنْيَانِ الصَامِدِ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَلْنَلْتَزِمِ الأَخْلاقَ الحَمِيدَةَ، وَلْنَغْرِسْهَا فِي نُفُوسِنَا وَأَبْنَائِنَا وَمُجتَمَعَاتِنَا.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامُ الأَنبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ أَجْمَعِينَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

لَقَدْ عَصفَتْ بِالعَالَمِ أَزمَاتٌ مُخْـتَلِفَةٌ، فَهُنَاكَ أَزمَاتٌ سِيَاسِيَّةٌ وَأَمْـنِيَّةٌ، وَأُخْرَى اجتِمَاعِيَّةٌ وَاقتِصَادِيَّةٌ، لَكِنْ كُلُّ تِلْكَ الأَزمَاتِ فِي الحَقِيقَةِ تَعُودُ إِلَى أَزْمَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ (أَزْمَةُ الأَخْلاقِ)، فَالأَزْمَةُ المَالِيَّةُ مَثَلاً مَا كَانَتْ فِي الحَقِيقَةِ بِسَبَبِ قِلَّةِ الثَّرَوَاتِ وَالمَوَارِدِ، وَإِنَّمَا المُشْكِلَةُ تَكْمُنُ فِي الأَسَاسِ فِي الشُّحِّ وَالاحتِكَارِ وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ، وَهَكَذَا جَمِيعُ الأَزمَاتِ إِنَّمَا هِيَ نَتَائِجُ فِي الحَقِيقَةِ لأَزْمَةِ الأَخْلاقِ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّهُ لا سَعَادَةَ لِلْعَالَمِ وَلا حَلَّ لأَزمَاتِهِ وَمُشْكِلاتِهِ إِلاَّ بِالعَوْدَةِ إِلَى الأَخْلاقِ الفَاضِلَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا دِينُنَا الحَنِيفُ، وَبِغَيْرِ الأَخْلاقِ الفَاضِلَةِ يَسِيرُ العَالَمُ بِقَدَمَيْهِ إِلَى حَتْفِهِ، وَيَرْسُمُ بِيَدِهِ خَطَّ نِهَايَتِهِ. فَهَذِهِ –عِبَادَ اللهِ– الأُمَمُ البَائِدَةُ ذَهَبَتْ بَعْدَمَا كَانَتْ سَائِدَةً، قَدْ ذَهَبَ اللهُ بِهَا عِنْدَمَا فَسَدَتْ أَخْلاقُهَا، فَقَوْمُ مَدْيَنَ كَانُوا يَظْلِمُونَ النَّاسَ فِي المَوَازِينِ وَالمَكَايِيلِ فَذَهَبُوا، وَهَكَذَا يَكُونُ فَسَادُ الأَخْلاقِ مَهلَكَةً لِلْمُجتَمَعَاتِ وَالأُمَمِ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَلْنَتَمَسَّـكْ بِالأَخْلاقِ الفَاضِلَةِ، وَلْنَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا وَدُعَاتِهَا.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَـى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّـدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْـدٌ مَجِيْـدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّـحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّـا مَعَهُـمْ بِرَحْمَتِـكَ يَـا أَرْحَـمَ

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .

الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.